تطورات فكر الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت: السياق والمآل

الأستاذ: مصطفى جبور
باحث بسلك الدكتوراه بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة المغرب

ملخص البحث:

يسعى هذا العمل إلى الوقوف على سياق وأسباب انعطاف فلاسفة النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت نحو رؤية متشائمة تفقد الأمل في تصحيح تعثرات التنوير، كما أنه يتوقف من خلال اعتماد منهج تحليلي نقدي على أهم المجالات التي مسها هذا الانقلاب وآثار ذلك على النظرية النقدية قبل انبعاث أجيال أخرى مع يورغن هابرماس وأكسل هونيث وهرمورت روزا ومارتان سار وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: النظرية النقدية – التحرر–الكلية –اللاهوية–الديالكتيك السلبي–الأبوريا.

مقدمة:

عرفت **النظرية النقدية** لمدرسة فرانكفورت، التي أعلن عن انبعاثها ماكس هوركهايمر(Max Horkheimer) أثناء تعيينه مديرا لمعهد البحث الاجتماعي في ثلاثينات القرن الماضي، تغيرات مست رؤيتها كما همت منهجها بسبب مراجعتها للأصول الفكرية و للمنطلقات النظرية، وذلك من خلال إعادتها الرؤية في مطلب الوحدة بين النظرية و الممارسة، و الشك في مبدأ الحتمية التاريخية التي اقترنت بالربط بين الذات الثورية و السيرورة التاريخية، و الابتعاد عن المادية الديالكتيكية، و استبدال مفهوم وحدة الهوية (Identittät) التي تجمع بين الذات و الموضوع بمفهوم اللاهوية (Nichtidentittät) بينهما، و نبذ كل ادعاء للذات بالسيطرة على الأشياء و الطبيعة، والتشكيك في قدرة العقل على تحرير الذات من قبضة الجماعة بسبب تأثر رواد النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت بالخط النتشوي ومواقف ماكس فيبر من الحداثة.

شملت هذه التعديلات بشكل ملحوظ في مستوى أول فكرة الكلية التي مثلت ركنا أساسيا في تصور هوركهايمر للنظرية النقدية في طبعتها الأولى، فكانت مصدر انتقاداته للوضعية لأنها لا تضع الحقائق الجزئية داخل نطاقها الكلي من منطلق أن معرفة المجتمع يجب أن تأخذ طابع المعرفة العامة وليس معرفة هذا الجزء أو ذاك كما نظر لذلك جورج لوكاش(Georg Lukács). أما التحول الثاني فقد هم الخروج من شرنقة فكر الوحدة والهوية نحو فكر منفتح متعدد ونسبي، إذ آمنت بالحاجة إلى اللامعقولية واللاحداثة واللامنطق واللاهوية واللاذات وغيرها من المفاهيم المؤسسة للوجود الذاتي والاجتماعي للإنسان إلى جانب الذات والهوية والمنطق والعقل والحداثة والمعقول. في حين مسَّ التحول الثالث فهمّ آلية التفكير المناسبة لتجاوز مفهوم الكلية وفكر التطابق المتمحور حول الهوية الذي يماهي بين الذات والموضوع من خلال اعتماد الديالكتيك السلبي عوض الجدل الإيجابي.

1–من فكرة الكلية إلى فكرة الانشطارية أو من الاستبداد إلى التحرر:

انشغلت مدرسة فرانكفورت بتفكيك الهيمنة وذلك بغاية التحرر والانعتاق، لذلك اهتم مفكرو النظرية النقدية في البداية بتطوير منظورٍ خاصٍّ بتحليل المجتمع قادرٍ على رد هذا الفحص إلى فهم عام دون تفتيت الحقائق وعزلها عن بعضها البعض في مجالات فرعية وذلك بامتلاك خلفية فلسفية تعالج القضايا الاجتماعية في شموليتها. كان المنظرون النقديون الأوائل يعتقدون أن عدم تصور المجتمع ككل يشل القدرة على اتخاذ إجراءات عملية موجهة نحو تحول أحسن للعلاقات الاجتماعية وتقدم أفضل للمجتمع، فكانوا يتعاملون مع الحقائق بصفتها إنتاجات تاريخية في كليتها أكثر منها لقطات منفصلة للواقِع. في هذا السياق نجد تيودور أدورنو (Theodor W. Adorno) مثلا في عرضه المتعلق بمنطق العلوم الاجتماعية الذي رد به على كارل بوبر في إطار سجال الوضعية (Der Positivismusstreit) يسرد أن الكل الاجتماعي لا يتطور فوق ما يتضمنه وما يشكله وفق حياة مستقلة. يخلق هذا الكل ويتكاثر من خلال لحظات معينة له. كما لا نستطيع فصل هذا

الكل عن حياة وتعاون وتناقضات عناصره، بحيث لا يمكن أن نفهم أي عنصر فقط في أدائه دون فهم الكل. الكل الذي يجد جوهره في حركات الفردي. إن النظام والمفرد متبادلان ولا يمكن معرفتهما إلا في تبادليتهم.[1] على أن تمسك النظرية النقدية في بدايتها بالكلية، لا يعني أنها بقيت حبيسة التصورات السابقة وإنما امتلكت فهمها الخاص لهذه الفكرة باعتبار الكلية وساطة مع الأخذ بالمفهوم الجدلي للوساطة، والذي لا يوجد في خارج الوسيط أو قبله أو منفصلا عنه، ولكنه بالأحرى يشتمل على بناء مترابط للموضوع والذات[2]. غير أن الظروف التاريخية التي عرفتها أوروبا عامة و ألمانيا بشكل محدد في نهاية ثلاثينيات القرن العشرين ستدفع بمنظري معهد البحث الاجتماعي إلى التعرف على أخطار الطابع الكلي و الشمولي للتنوير الناتج عن العقلنة الأداتية الذي يمحو التعدد و يقضي على الرفض، و بذلك أمست فكرة الكل مرتبطة بقهر الإنسان و بتدجينه عوض تحريره عكس ما آمن به منظري الجيل الأول في مستهل مشروعهم النقدي، بل صارت حسب رأيهم مسؤولة عن توجه فلسفات الهوية و التطابق نحو الخطاب الشمولي الذي ينطوي على العنف؛ ليخلصوا إلى أن ظهور المجتمع المدار بالكامل قد أدى إلى تجريد الإمكانات التحررية للكلية بحيث "فقد كل ما له صلة بالكلية أهميته، سواء فيما يتعلق بالتأويل الجزئي أو بالمعرفة المطروحة مبدئيا على أنها مؤقتة، كما أضحى ضحلا اعتبار أن تلك الكلية– سواء أكانت "الروح" أم "التاريخ" أم "الوجود" – غير موجودة بكل بساطة "[3]. لقد فهم فلاسفة النظرية النقدية أن هذه الكلية المطلقة والزائفة تعدم أي إمكانية للتخلص من حالة التشيؤ الشامل لأنه كلما صار المجتمع كليانيا وشموليا، صار الفكر متشيئا، لهذا السبب صارت محاولتهم للتخلص من التشيؤ مدموغة بالمفارقة.[4]

يتقاسم هربرت ماركيوز (Herbert Marcuse) من جهته مع أدورنو و هوركهايمر رفض فكرة الكلية عندما تتجسد في العقل الشمولي أو المطلق حيث يعتبر كون" فكرة «العقل» تشتمل على كل شيء، و هي في نهاية الأمر تغتفر كل شيء، إذ أن مكانها و وظيفتها تكمن في الكل، و الكل بمعزل عن الخير و الشر، و الصواب و الخطأ... فإن كان الأمر كذلك، كانت فكرة العقل ذاتها في خطر، إذ أنها تتكشف بوصفها جزءا، لا بوصفها هي الكل".[5] لم يغفل رواد النظرية النقدية أيضا عن كون محاولة فهم المجتمع القمعي في كليته كوسيلة لمعارضته هي أيضا محاولة فاشلة تنتهي بالوقوع في كلية زائفة وكاذبة لا تختلف عن كلية المجتمع القمعي؛ وقد رأوا في كلية الحزب (الشيوعي) كأساس وقاعدة للثورة نموذجا "يماثل" كلية الشركة كأساس لتراكم رأس المال[6]. لذلك اضطر الجيل الأول من النظرية النقدية في مراحله الأخيرة إذن إلى إطلاق قواه الفكرية ضد "الكلية الزائفة" المتنامية وهذا الأمر ينطوي على تغيير كامل في معنى هذا المفهوم[7]، فأمسى الكل هو اللاحقيقة، وغدا البحث عن الحقيقة متمثلا في فحص الأجزاء المغفلة من تجربة الفرد التي نجت من سيطرة وسلطة هذا الكل، وغدت الأولوية لصالح تمعن النظر فيما هو خاص وفردي ومستحدث وليس لما هو عام وكوني ودائم ومستمر. بهذا الشكل تحولت النظرية النقدية للتكلم دفاعا عن الفرد في عصر فردانية زائفة تماما مرجحة بأن مقاومة الفرد تعد مقياسا للتحرر، فعارضت تصورا

مبنيا على كلية شمولية يمثل السلطة والهيمنة، ونادت بمنظور يتجاوز هذه الكلية الزائفة ويمثل الحرية، مؤمنة بأن تنظيم المجتمع –الذي يفترض أن يكفل حفظ الذات لأعضائه–يولد وينتج العلاقات المتعلقة بهيمنة بعض الأفراد على الآخرين، ولا يمكن أن تعزى هذه العلاقات ببساطة إلى التقسيم الضروري للعمل فقط[8]. وبالتالي سنصل إلى خلاصة مفادها أن المفكرين النقديين انتهوا إلى اعتبار الفلسفة تفكيرا ضد النسق وممارسة لاسلطوية تنصهر وتتداخل في صيرورتها طلب المعرفة والحرية. أي فلسفة لا تهتم باكتساح تفاصيل الهوية، ولهذا السبب ابتعدوا عن فلسفة الذات والوعي، واعتمدوا نهجا جديدا يُمكنهم من التنصل من مفهوم الكلية والافلات من الخطاب الشمولي الذي ينطوي على العنف. يمكن اعتبار ذلك بمثابة نقطة البداية في الطريق نحو تبني براديغم البينذاتية الذي سيأخذ به منظرو الأجيال اللاحقة كيورغن هابرماس وأكسل هونيث وغيرهم.

2–من فكر التطابق إلى فكر اللاتطابق:

أعقب نقد مفهوم الكلية التساؤل حول مصداقية فكر التطابق و التشكيك في جدواه؛ إذ أن الواقع يتكون من أجزاء و شظايا و أنقاض يسميها أدورنو العناصر اللا–قصدية للواقع، و بهذه المعطيات لا يمكن مقاربة هذا الواقع إلا بكيفية مختلفة عما سبق، أي برؤية تستحضر التنوع و الاختلاف، على عكس فلسفة التطابق التي تحاول تأسيس معنى للواقع، و هكذا سيحل مبدأ الاختلاف و التغاير و التناقض محل مبدأ الهوية و التماثل و التساوي عند مفكري النظرية النقدية منذ منتصف القرن الماضي، فتلغى بذلك السلطة التي تفرض تبعية العيني للكلي و الخصوصي للكوني و المادي للفكري و الموضوع للذات. في هذا الإطار يرى أدورنو أن الهوية أو التماثل لدي هيجل يفترضان وجود ترابط منطقي بين الذات والموضوع، بينما هناك استقلال نسبي أو لا تماثل بينهما، فالذات تمتلك لا تناهيها الخاص، كما أن هنالك مناطق لا معقولة في الموضوع بالنسبة للذات، وبالتالي يقترح أدورنو منطقا للتفكيك من خلال جدل السلب بدلا من الترتيب التماثلي ساعيا بذلك إلى تقويض المماثلة بين الحقيقة والكلية[9]. لقد أخذت اللاهوية مكان الهوية في تفكير فلاسفة المدرسة إبان هذه الفترة لأنهم اقتنعوا بانعدام وجود تطابق أو هوية صميمية بين الذات والموضوع حتى أضحى مجرد التفكير بتوحيد الموضوعات الاجتماعية مع المفاهيم يعكس في نظرهم طابعا كليانيا يرفضونه، وصاروا أشد صرامة بخصوص استخدام الجدل بحيث استبدلوا منهج الديالكتيك الإيجابي بالديالكتيك السلبي طالما أنه إذا كان الأول يكرس إخضاع الموضوع للذات والشيء للمفهوم، فإن الثاني يمكن من تتبع هذين الزوجين وهما في حالة افتراق وتغاير.

3–من الجدل الإيجابي إلى الديالكتيك السلبي:

اقتنع أدورنو وماركيوز بضرورة إعادة النظر في الديالكتيك الإيجابي باعتباره آلية عقلية تفضي إلى الكلية الزائفة وتكرس وضعية التشيؤ التي عمّت الفكر والواقع؛ إذ لا يمكن لأي منهج أن يبدو أصيلا إذا لم يعترف بأن القضيتين الآتيتين تقدمان

وصفا ذا معنى ودلالة للوضع الذي نوجد فيه: «الكل هو الحقيقة»، و «الكل باطل»[10]. لهذا، وحتى يكون الكل حقيقيا فإنه ملزم بأن يكون سلبيا وينبغي أن ينظر إليه على أنه مجال يهتم بالأجزاء ويعنى بالتنافر بعيدا عن الانسجام، في حين أن الكل الاجتماعي المنظم والمتسق يدعو إلى الارتياب والتشكيك لأنه يعكس تشكيلات كاذبة من التناغم والاتفاق. رأى هذان الفيلسوفان ضرورة تجاوز كل ما هو قائم في الوجود بواسطة السلب الذي يعارض ما هو حقيقي بما هو واقعي، فالجدل السلبي يشكك في تجاوز لحظة الإثبات–النفي إلى لحظة نفي النفي كما هو الحال عند هيغل، وبالتالي لا يبقيه رهينة للتحديد الإيجابي دائما و إنما يفتحه على إمكانيات متعددة تلغي القسر و التوافق فيقف على التعارض و يبحث في الفوارق، و بذلك فهو عدو للتفكير الدغمائي لأنه يمثل قوة العقل التواصلية المنفتحة والمدركة للمتناقضات والمبرزة لاستحالة استيعاب كل شيء بوسائل وآليات التفكير البسيطة، لهذا السبب أخذ مفكرا النظرية النقدية على عاتقهما مهمة إحياء الطابع السالب (التفكير النافي) في الفلسفة والكشف عن تناقضات الواقع؛ لأن القدرة على التفكير السلبي أساس زعزعة الثقة الزائفة حيال الذات وحيال عالم الوقائع. ومن هنا فإن السلب الذي يطبقه الجدل على المفاهيم ليس فقط نقدا للمنطق التقليدي، الذي يرفض الاعتراف بحقيقة المتناقضات، بل هو أيضا نقد للأوضاع القائمة على نفس الأرض التي تقف عليها، ونقد لنظام الحياة المستتب، الذي ينكر ما ينطوي عليه هو ذاته من إمكانات واحتمالات مشجعة.[11] يوصل نقد تفكير الهوية إذن إلى الديالكتيك السلبي الذي يوفر إطارًا لنظرية نقدية تمت إعادة صياغتها، والتي تنطلق من المعاناة والشقاء وكل أنواع القهر والباتولوجيات للنظر في إمكانية تحقق السعادة، ليس عن طريق تسميتها، ولكن بالتفكير بدقة في "ما ليست هي". تعتزم هذه الطبعة الجديدة من النظرية النقدية فتح أفق اللا تطابق في عصر الكلية المطابقة، الموحّدة والقهرية[12]. يُبين المفكرون النقديون لهذه المرحلة، وأدورنو على وجه التحديد، أن المعرفة تصنف الأشياء وفقًا لعملية تشمل المنتشر، المتفرد والاستثنائي ضمن مخطط موحد ومختزل يقوم بتفكيك ما هو فردي لأن الهوية الفعلية للموضوع لم تعد خاضعة لهوية الذات المفكرة كما هو الحال في الديالكتيك الإيجابي. يحرر الجدل السلبي التفكير من السيطرة بتحريره لتفكير الهوية من هويته ويدشّن عهودا جديدة للتغيير ويوفر بدائل جذرية على أساس تفكير اللاهوية لتفادي المآسي والمحن التي أنتجها، ولذلك فهو يؤسس لمشروع التحرر الإنساني. إن الديالكتيك السلبي فضلا عن كونه منتج لنقد الإيديولوجيات، فهو ليس ميتافيزيقيا متعالية لأنه ليس شرطاً قبلياً لأي تجربة وإنما إمكان ينفتح عليه التفكير ويتحقق نموذجياً في اللغة كما في الفنون[13]. بالنسبة لمنظري مدرسة فرانكفورت في هذه الحقبة المتأخرة من الجيل الأول يشكل هذا المنهج الفكري الجديد سبيلا لتجنب قصور الفلسفة الهيغلية و المادية الديالكتيكية مادام يوظف الديالكتيك لتصور التجربة بدلاً من مجرد تفكر الشروط الضرورية للتجربة، فيعري بذلك وهم الاعتقاد بأنه من خلال مجموعة كاملة من القرارات يصل الموضوع إلى المطابقة التامة مع الذات؛ "ففي الديالكتيك السلبي، يكون الديالكتيك نقدا من نواحٍ متعدد؛ فهو نقدً للادعاء بهوية المفهوم والشيء، و هو نقد للأديولوجيا أي نقد

لأقنوم العقل الذي يعتبر العقل أساس كل الأشياء، و هو أيضا نقد للواقع المتناقض في أفق تغييره، هذا النقد موجه أيضًا ضد المادية الجدلية حيث تطرح كعلم وضعي. وهكذا يغذو الجدل السلبي نقدا غير المشروط للوجود، ويصبح للنظرية النقدية والديالكتيك السلبي نفس المعنى."[14]

كسر الجدل السلبي الطوق المضروب على اللا–مفهوم، فانهارت بذلك الذات المؤسسة التي ترسي بعنف التطابق بين الوعي والوجود، والتساوي بين الذات والموضوع. وبدّد لذلك في الأخير أوهام العفوية المباشرة المسؤولة عن الاعتقاد الخاطئ بوجود مبادئ قبلية أو فلسفة أولى. لا يمكن أن يكون هناك بالنسبة للجدل السلبي، أو بالأحرى لا ينبغي له، أن يصهر ويحل الاختلاف في الهوية. إن ما يهم هنا وما يشكل أهميته الفلسفية بالنسبة لأدورنو (على عكس هيجل) هو "اللا–المفاهيمية والفردية والخصوصية"، وليس إدراك هذه المفاهيم ضمن سرد فلسفي يفسد هذا الاهتمام من خلال دمجهم في "الفكرة" أو بعض المفاهيم المشابهة[15]. يكرر الجدل السلبي باستمرار الدعوة للحفاظ على وعي التناقض بين الشيء وتفكر الشيء، لا ينبغي أن ننخدع بوهم أن كلية التحديدات الفئوية للموضوع يمكّنها من إذابة هذا الموضوع نفسه في شبكتها: وبذلك يصير الموضوع ملتبسا مع مفهومه في واقع مُصمم في حركة أبدية كتدفق لا ينضب من التناقضات. وبالتالي فليس هناك مجال للتهدئة. يتجاوز تفرد الموضوع دائما المفهوم الذي يحاول تعريفه ويتم إعادة إنتاج هذا التناقض باستمرار.[16]

نتج عن تبني هذا النهج انقلابا في فهو طبيعة ووظيفة الفلسفة. اقتنع فلاسفة الجيل الأول في هذه المرحلة بأن يتوقف انبعاث الفلسفة من جديد وانتشالها من أزمتها يتوقف على إنقاذ التطابق والاختلاف من قبضة فلسفة الهوية، وذلك عبر ممارسة التأويل بدل التماهي والتطابق مع الواقع. يرفض الجدل السلبي "السلطة المطلقة للحقيقة" و"المباشرة" كطريقة نهائية للتحقق. يؤكد أدورنو أن جميع المعطيات المباشرة إنما تشير إلى جوهر مخفي، وبالتالي لا يوجد أي مصادفة أوتوماتيكية بين المظهر والجوهر. إن الفكرة المتعلقة بكون كل موجود يعرض نفسه للملاحظة المباشرة لا يمكن أن يتحدد إلا من خلال شبكة من الوساطات المتعددة هي فكرية محورية في تفكير أدورنو. لا يعني الجدل شيئا أكثر من التأكيد على توسيط ما يظهر أنه مباشر، وعلى المزاوجة بين المباشرة والتوسيط كما يحصل في جميع المستويات. وبالتالي، ترتبط راهنية الفلسفة بمدى نجاحها في التحول من النشاط المفهومي إلى قراءة وتأويل آثار الواقع في عبورها وزوالها من أجل بلوغ حقيقتها التاريخية والتخلي عن وهم امتلاك الواقع في كليته أو مباشرته. ونجد هنا كيف أن أدورنو يمارس على المفاهيم النقدية تفكيكا حتى تفقد صلابتها بفضل استثماره لمقولة التوسيط؛ فالفلسفة بالنسبة لأدورنو هي بالضرورة تأويل؛ إنها ممارسة لجعل الغامض واضحا لا لبس فيه لأنها تفتقر إلى وحدة الشكل والمحتوى والذات والموضوع، والمظهر والجوهر.[17] تكون النتيجة أن النظرية النقدية بهذا التصور الجدلي ستتخلص من التشيؤ الذي يصنع وهم المباشرة، وستخلق التوسيطات الضرورية للحفاظ على استقلالية الفكر مما هو مخطط له من قبل العقلنة.

وضعية النظرية النقدية في نهاية حقبة الجيل الأول للنظرية النقدية:

آلت النظرية النقدية في نهاية فترة الجيل الأول إلى وضعية شبه مناقضة لمنطلقات التأسيس؛ فعوض تفاؤل منطلق من رغبة حماسية في التغيير خلص فكر أعلام هذه النظرية إلى تشاؤم مبالغ فيه ملؤه الإحساس المرير بالرجوع نحو عالم غير عقلاني لأن رؤيتهم للعقلنة وجهتها فلسفة للتاريخ لم تهتم سوى بشكل واحد للعقل، كما اصطبغ سردها بضيق النظر و بافتقار للمسوغ الامبريقي و للانسجام المفاهيمي، إضافة إلى أنه بدل صياغة فلسفة اجتماعية شاملة قادرة على دمج مختلف العلوم الاجتماعية لتحرير الإنسان و المجتمع أولت النظرية النقدية في هذه المرحلة كامل اهتمامها لتخصصات محصورة فانجرفت نحو الانشغال على المتنافر والجزئي والمختل. إذ اتخذ نقد الكلية الاجتماعية منذ كتاب **ذرة أخلاق** شكل نقد لأشياء مخصوصة وهو نهج لا يوجد فيه أي تناقض إذا كان "التفكير في خلية أمر يعادل التفكير في "الكون" كما يقول أدورنو[18]. وقد تأكد فيما بعد أن هذا النقد الصارم الذي اعتمد الديالكتيك السلبي مع أدورنو، وبدرجة أقل مع ماركيوز، والذي أسس لعقل كلي لا يلتفت إلا للمختلف والعيني قد أدى إلى نموذج دون معايير ولا مقاييس. إن هذا النموذج غير صالح مادام أن الإنسان لا يستطيع العيش في تناقضات الجدل السلبي الذي لا يكون إيجابيا إلا في أشد لحظاته نفيا، بل يحتاج لقاعدة يبني عليها نشاطه وحياته ومشاريعه وهذا ما كانت تفتقده النظرية النقدية[19]. لقد انزلق هذا النهج المعتمد على هذا النقد الجذري الذي أخذ على عاتقه انتقاد زيف الوجود بلا كلل قد انزلق نحو "سلبية" لا تطاق، الأمر الذي أدى بالجيل الأول من النظرية النقدية إلى الوقوع في أبوريا (Une aporie) أي في مأزق وانسداد في الأفق، بحيث بدى فعليا أن التفكير النقدي الذي مارسه العقل على نفسه كما هو مجسد في "جدل التنوير" و "الإنسان ذو البعد الواحد" ليس سوى ممارسة عبثية بلا جدوى لأن التقدم في العقلنة "الأداتية" يوازيه تراجع على مستوى التحرر الإنساني والعقل الذي تم اللجوء إليه لجعل العالم مكانا أكثر عقلانية صار أداة للتسلط والقهر. كما أصبح النقد أسير مفارقة العقل المتشيّء والمحرِّر إذ كان على العقل انطلاقا من الأسطورة ومن داخلها أن يعيد تأكيد نفسه وتحقيق تأمله الذاتي النقدي، وهذا التأمل لا يمكنه أن يخرج من التشيؤ الكلي الناشئ عن مصير العقل من حيث لا يمكن ممارسته إلا من خلال التفكر في نظام التشيؤ والإدارة الكاملة[20]. تتجلى ورطة الجيل الأول لمدرسة فراكفورت في عجزه عن الوقوف أمام مد " العقلانية الأداتية وجبروتها وبدا واضحا أنهم غير قادرين على بلورة حلول واقعية وملموسة لتغـــــيير الواقع القائم ما دامت أن البدائل التي ستحقق التحرر قد تلاشت[21]. لكل ذلك نفهم لمَ انتهى هوركهايمر بالارتماء في أحضان اللاهوت الديني مؤكدا استحالة فصل الفكر الفلسفي عن البعد الديني، في الوقت الذي اتجه فيه أدورنو وماركيوز نحو البعد الفني والجمالي كنافذتين للتخلص من التشيؤ وتحرير الإنسان من طغيان وسيطرة العقل الأداتي.

الهوامش:

[1] Mario Hirsch, « L'École de Francfort : une critique de la raison instrumentale », *L'Homme et la société,* Marxisme critique et idéologie, N. 35-36, 1975, p. 128.

[2] Frank Engster, « Critical Theory and Epistemological and Social-Economical Critique », *in* Beverley Best, Werner Bonefeld, Chris O'Kane (Edit.),*The SAGE Handbook of Frankfurt School Critical Theory*, 3 volume, London, SAGE Publications Ltd, 2018, p.754.

[3] ماكس هوركهايمر، **بداية فلسفة التاريخ البورجوازي**، ترجمة محمد علي اليوسفي، (بيروت: دار التنوير،2006)، ص. 102.

[4] Theodor Adorno, *Prismes Critique de la culture et société*, Paris, Payot, 1986, p. 23.

هذا ما يطلق عليه هابرماس "التناقض الأدائي" في نقده لأدورنو وهوركهايمر. ينظر في:

J. Habermas: [1982], «The Entwinement of Myth and Enlightenment: Re-Reading Dialectic of Enlightenment», New German Critique, N°. 26, 13-30, p. 22 .

[5] هربرت ماركيوز، **العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة لتأليف والنشر، 1970)، ص. 23.

[6] Omar Dahbour, « Totality, Reason, Dialectics: The Importance of Hegel for Critical Theory from Lukács to Honneth », *in* Michael J. Thompson (Editor), The Palgrave Handbook of Critical Theory, New York, Palgrave Macmillan; first ed., 2017, p. 98.

[7] John E. Grumley, *History and Totality Radical Historicism from Hegel to Foucault,* London, Routledge, 2016, pp. 170 -174.

- La préposition « Le tout est le non-vrai » est citée in W. Adorno, Theodor, *Minima Moralia: Réflexions sur la vie mutilée,* traduit de l'allemand par Eliane Kaufholz et Jean-René Ladmiral, Payot, Paris, 1983, § 29, p. 47.

[8] José A. Zamora, « Society and History», *in* Beverley Best, Werner Bonefeld, Chris O'Kane (Edit.) : [2018] , op .cit. , p. 636.

هكذا ووفقًا لأدورنو، فإن ما يضفي على المجتمع طابع الكليَّة السلبيَّة هو أن التنظيم الاجتماعي العام والشامل للجميع يتميز بالتضاد، ينظر في: Theodor, W. Adorno:[1983] , op .cit. p. 34

[9] رمضان بسطاويسي محمد، **علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت (أدورنو نموذجاً)**، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1998)، ص. 48

[10] هربرت ماركيوز: [1970]، مرجع مذكور، ص. 25.

[11] – نفسه، ص.17.

[12] – كان وقع مطاردة وتعذيب النظام النازي للجنس غير الآري، وبالتحديد لليهود، قويا على منظري مدرسة فرانكفورت، فاسم أوشفيتز (Auschwitz) الدال على عذاب المحرقة وآلامها يحضر بقوة وبشكل متواتر في كتاب الجدل السلبي لأدورنو. تحت هذا الاسم "أوشفيتز"باعتباره البعد القاتل للهوية، تقع جميع ضرورات الفكر المعاصر في نظر أدورنو، مما يعني أن مهمته ترقى إلى بناء فلسفة اللا–هوية، أي أن الفلسفة تتعامل مع ما هو غيرها تماما، والذي يعتزم أن لا يجعل المختلف مشابه لها، أي الذي يجعل اللا–متطابق مطابقا لها. ينظر في:

Alain Badiou, « De la dialectique négative dans sa connexion à un certain bilan de Wagner », https://www.lacan.com/badwagnertwo.htm disponible sur le lien:

[13] – أورده هشام عبد النور في: "الديالكتيك السلبي عند أدورنو أو نقد تفكير الهوية". منشور في موقع الحوار المتمدن. العدد: 4941، بتاريخ: 30 / 9 / 2015 على الرابط التالي:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=486832&r=0

[14] - Theodor W. Adorno, *Lectures on Negative Dialectics Fragments of a lecture course 1965/1966,* Edited by Rolf Tiedemann, Translated by Rodney Livingstone, Cambridge, Polity Press, First published, 2008, p. p: 20-21

يبدو الأثر الكبير الذي سيمارسه الديالكتيك السلبي بهذا المعنى على منظري الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت في إيلاء الكثير من الاهتمام للخصوصيات، ويظهر حضوره بجلاء في فكر أكسل هونيث فيما يتعلق بحقوق الأقليات ومطلب الحرية الشخصية وما إلى ذلك.

[15] Omar Dahbour: [2017], op. cit. , p. 97.

[16] Nicolas Tertulian, « Réflexions sur la « dialectique négative » », *L'Homme et la société*, N°. 69-70, 1983, p. 33.

[17] Jean-Marc Durand-Gasselin, *L'Ecole de Francfort*, Paris, Gallimard, 2012, p.130.

[18] Emmanuel Renault et Yves Sintomer, « introduction », in Emmanuel Renault et al. , *Où en est la théorie critique ?* Paris, La Découverte, « Recherches », 2003, p. 17.

[19] هشام عمر النور، "نظرية هابرماس النقدية: «الفلسفة باعتبارها تفكيرا نقديا»"، ضمن كتاب: حسن حنفي وآخرون، **فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، 2005)، ص. 155. وأيضا في:

Marie-Andrée Ricard, « La dialectique de T.W. Adorno », *Laval théologique et philosophique*, 55, N° 2, juin 1999, p. 268

[20] Gérard Raulet, « l'aporie de la théorie critique. les stratégies de renouvellement du noyau théorique », *in* Emmanuel Renault et al.:[2003],op. cit. , p. 39.

[21] ستيفن إريك برونر، **النظرية النقدية: مقدمة قصيرة جدا**، ترجمة سارة عادل، مراجعة مصطفى محمد فؤاد، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى، 2016)، ص. 99.